

# التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية " سورة البقرة نموذجاً "

دكتور ربيع عبد العزيز  
أستاذ النقد والبلاغة والأدب المقارن  
كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

## تمهيد :

أولى علماء العرب ، فى التقديم<sup>(١)</sup> والحديث<sup>(٢)</sup>، مبحث التقديم والتأخير ، من الاهتمام ما يشف عن وعيهم بما يضيفه على المعنى من دقة ، وعلى العبارة من حسن ، وعلى التلقى من لذة .

وكانت المهاد الأولى ملاحظات سجلها الرواد الأوائل بهدف " تأكيد مثالية العبارة من زاوية نحوية فى المقام الأول ، بالكشف عن المواضع التى كان حقها التقديم وتلك التى كان حقها أن تتأخر ، نجد من ذلك حديثا للخليل ، فى بحث الابتداء ، عن تقديم من النوع الذى عرف فيما بعد بأنه تقديم على نية التأخير"<sup>(٣)</sup>.

ولم تقتصر ملاحظات أوائل الرواد على الزاوية النحوية للتقديم والتأخير، بل اتجهت - على استحياء - إلى الزاوية الفنية ؛ فتحدث أبو عبيدة " ت نحو ٢١٠ هـ " عن مجاز المقدم والمؤخر ، وأدرج ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ " التقديم والتأخير ضمن أسلوب القلب ، الذى هو من المجاز أيضا<sup>(٤)</sup>. ثم جاء عبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ " ليحدث فى التقديم والتأخير نقلة نوعية تجاوز بها موروث الأوائل إلى أمد بعيد .

وعكف البلاغيون على تنظيم البحث فى التقديم والتأخير ، فميزوا بين التقديم فى الجملة الإنشائية والتقديم فى الجملة الخبرية ، وقسموا التقديم فى الجملة الخبرية إلى تقديم المسند إليه ، وتقديم المتعلقات . وتجاوزوا فكرة سيبويه عن الاهتمام بالمقدم والعناية بأمره ، إلى استخلاص نواتج دلالية أخرى ؛ كالاختصاص ، وإزالة الالتباس الدلالى ، وتقوية الحكم وتأكيده ، والتلذذ بذكر المقدم ، وتعجيل المسرة أو المساءة . كما فطنوا إلى الظواهر الإيقاعية التى تصاحب بعض النواتج الدلالية لتقديم المقدم وتأخير المؤخر ؛ كالاتساق بين الفواصل ، وتناسق الأسجاع فى المنثور ، ورد الأعجاز على الصدور فى المنظوم ، إلى غير ذلك من الظواهر الإيقاعية .

### ١- انظر :

- عبد القاهر ، دلالات الإعجاز ، ص ١٠٦ : ١٤٥ ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة ، د- ت .
- ابن الأثير ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ٢ / ٢١٠ : ٢٢٧ ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط: نهضة مصر ، القاهرة ، د- ت .
- الطوفى ، الأكسير فى علم التفسير ، ص ١٥٤ : ١٦٩ ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د- ت .

### ٢- انظر :

- د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٣٥ : ٢٦٠ ، ط : الأولى ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧٠ : ١٨٤ ، ط : الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- د. توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب ، ص ١١٥ : ١٤٠ ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د- ت .
- ١- د. عبد الحكيم راضى ، نظرية اللغة فى النقد العربى ، ص ٣٣٨ ، ط: الخانجى ، القاهرة ، د- ت .
- ٢- السابق ، ص ٣٣٨ .

وكما استخلصوا الشواهد الدالة على الدور الإيجابي للتقديم والتأخير ، استخلصوا الشواهد الدالة على دوره فى خفاء المعنى والتواء العبارة عنه ؛ كقول الفرزدق " ت نحو ١١٠ هـ " يمدح الوليد بن عبد الملك :<sup>(١)</sup>

### إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليبٌ ثُصاهرة

يريد : إلى ملك ليست جدته لأبيه من محارب ، لكن وفاءه بمتطلبات الصحة العروضية جعله يقدم خبر الأب عليه ، وهو جملة<sup>(٢)</sup> ، ويعاظم معاطلة تحيف على المعنى ، وتعقد العبارة عنه ، وتربك الأفهام ، وتفقد التلقى بعض بهجته .  
وعنى القدماء بالنظر إلى الكلمة إذ تتقدم فى آية وتتأخر فى آية أخرى<sup>(٣)</sup> ، ونوعوا هذا النمط من التقديم والتأخير أنواعا ؛ كالتقديم باعتبار الزمان ، والتقديم باعتبار الشرف ، والتقديم باعتبار المكان ، وتقديم الأعب فالأعجب ، إلى غير ذلك من الأنواع التى أفاض الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " والسيوطى " ت نحو ٩١١ هـ " فى الحديث عنها<sup>(٤)</sup> ، والتى سوف أشير - لاحقا - إلى نماذج مما ورد منها فى سورة البقرة .  
وحول جماليات التقديم والتأخير ، ووجوده فى القرآن الكريم ، وصلته بالمجاز ، تباينت مواقف العلماء ؛ أما جمالياته فقد قلل منها فريق من العلماء ؛ كابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ " ، ابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " ، والسيرافى " ت نحو ٣٦٨ هـ " وغيرهم ممن حذروا الكتاب من الغثاثة التى يضيفها تقديم المؤخر وتأخير المقدم على نتائجهم<sup>(٥)</sup> !

#### ٣- انظر :

- المرزبانى ، الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ، ص ٥٥ ، ١٤٢ ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط: دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت .
- ابن الأثير ، المثل السائر ، ٢٢١/٢ .
- ابن النقيب ، مقدمة فى تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط: الأولى ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، د-ت .

#### ١- انظر :

- ابن جنى ، الخصائص ٣٩٤/٢ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٧٢ .

- ٢- كتقديم الآخرة على الأولى فى قوله تعالى : " فله الآخرة والأولى " . النجم : الآية ٢٥ . وتقديم الأولى وتأخير الآخرة فى قوله تعالى : وله الحمد فى الأولى والآخرة . القصص : آية ٧٠ .

#### ٣- انظر :

- الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن ٣/ ٢٣٣ : ٢٦٠ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: الثانية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د-ت .
- السيوطى ، الإتيان فى علوم القرآن ٣/ ٣٥ : ٤١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

#### ٤- انظر :

- ابن المدبر ، الرسالة العذراء " ضمن رسائل البلغاء " لمحمد كرد على ص ٦٩ ، ط: الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- = ابن طباطبا ، عيار الشعر ، ص ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٦ ، تحقيق : د. محمد زغلول سلام ، ط: منشأة المعارف الإسكندرية ، د-ت .

وأرجع العتابي " ت نحو ٢٢٠ هـ " فساد الصورة وتغيير المعنى إلى التقديم والتأخير ، يؤكد ذلك قوله : " الألفاظ أجساد ، والمعاني أرواح ، وإنما نراها بعيون القلوب فإذا قدمت منها مؤخرا ، أو أخرت منها مقدما ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد .. واعلم .. أن الذى ينبغي فى صنعة الكلام وضع كل شيء منه فى موضعه ليخرج بذلك من سوء النظم " (١) .

ودعا ابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ " إلى أن توضع الألفاظ فى مواضعها ، ونهى صراحة عن اللجوء إلى التقديم والتأخير ، بدا ذلك واضحا فى قوله : " فمن وضع الألفاظ مواضعها ألا يكون فى الكلام تقديم وتأخير ، حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعراجه فى بعض المواضع ، أو سلوك الضرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله فى لغة العرب ؛ كالصلة والموصول ، وما أشبههما " (٢) .

وخلافا لأنصار الموقف الأنف ، نجد عبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ " وضياء الدين بن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " ، والزرخشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " ينظرون بتقدير كبير إلى جماليات التقديم والتأخير ؛ فقد وصفه عبد القاهر بأنه باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة ، ويفضى بك إلى لطيفة . ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك ، أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكانه (٣) . بل لقد سخر عبد القاهر ممن هونوا أمر التقديم والتأخير ، ورأوا فى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف (٤) ، وأضاف : " ولم تر ظنا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه " (٥) .

ولئن ألمح عبد القاهر إلى ما يتركه التقديم والتأخير ، فى نفس المتلقى ، من أثر إيجابى ، لقد نوه ضياء الدين بما فيه من " أسرار دقيقة " (٦) ، كما نوه الزركشى - متابعا عبد القاهر - بموقعه الحسن ومذاقه العذب عند المتلقى ، ثم أضاف ناعتا من يتعاطاه من الأدباء بالتمكن فى الفصاحة (٧) .

وحول مسألة وجود التقديم والتأخير فى القرآن الكريم نجد أبا حيان " ت نحو ٧٤٥ هـ " ينكر أن يكون فى القرآن الكريم لفظ تقدم على رتبته أو تأخر عنها . وهو يؤسس

---

- السيرافى ، ضرورة الشعر ، ص ١٧٣ ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط: الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : الكتابة والشعر ، ص ١٧٩ ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط: الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢- ابن سنان ، سر الفصاحة ، ص ١١١ ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٣- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .

١- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٠٦ .

٢- السابق : ص ١٠٦ .

٣- انظر : ضياء الدين ، المثل السائر ٢/٢١٠ .

٤- انظر : الزركشى ، البرهان ٣/٢٣٣ .

موقفه الراض انطلاقاً من أن التقديم والتأخير من الضرائر التي تقع في كلام البشر ، والتي ينبغي تنزيه القرآن عنها ، هذا إلى اعتقاده بأن وجود التقديم والتأخير في القرآن من شأنه أن يفكك نظمه ، وأن يذهب بحلوته <sup>(١)</sup> .

وعلى النقيض من موقف أبي حيان نجد علماء ، مثل عكرمة " ت نحو ١٠٧ هـ" ، وقتادة " ت نحو ١١٧ هـ" ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦ هـ" يعترفون بما في القرآن الكريم من تقديم وتأخير <sup>(٢)</sup> . ونقل ابن العربي " ت نحو ٤٢٣ هـ " عن الطبري " ت نحو ٣١٠ هـ " ، أن التقديم والتأخير كثير في القرآن <sup>(٣)</sup> . كما حمل ابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ" على منكري التقديم والتأخير في القرآن ، وعتهم بعدم المعرفة بلغة العرب <sup>(٤)</sup> .

وأما صلة التقديم والتأخير بالمجاز فقد أجازها ابن قتيبة حين أدرج في باب المقلوب تقديم ما يوضحه التأخير ، وتأخير ما يوضحه التقديم <sup>(٥)</sup> . وعرف ابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ" الحقيقة اللغوية بما يدل على أنه ينظر إلى التقديم والتأخير بوصفه ضرباً من المجاز ؛ فالحقيقة في نظره هي " الكلام الموضوع موضعه ، الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير " <sup>(٦)</sup> ، ومن ثم فأخرجه التقديم والتأخير من باب الحقائق إدخال له في باب المجازات .

وخلافاً لمذهب ابن قتيبة وابن فارس ، أنكر الزركشى أن يكون للتقديم والتأخير بالمجاز ثمة علاقة ، وأكد أن المجاز ليس نقلاً من الرتب ، وإنما هو نقل مما وضع له اللفظ إلى ما لم يوضع له <sup>(٧)</sup> .

وإذ قد فرغنا من عرض تباين مواقف العلماء من التقديم والتأخير : جمالياته ، وجوده في القرآن الكريم ، صلته بالمجاز ، نجد الصواب يجانب موقف العتابي ، وابن المدير ، وابن طباطبا ، والسيرافي ، وابن سنان ؛ فليس صحيحاً أن التقديم والتأخير يصيب بالغاثة نتائج الأدباء ، بل الصحيح أن الأديب الذي يرهف إحساسه بمواقع الكلمات ، والذي يسيطر على لغته ، يستطيع أن يسخره لا في البوح بأدق أفكاره ومختلف خواطره فحسب ، بل في وضع بصمته على أسلوبه ، وفي " ابتداء مستويات من التراكيب تجدد تجربة المتلقى

٥- انظر : أبو حيان ، البحر المحيط ٢٠/١ ، ١٨٠/٧ ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د.ت .

٦- انظر : السيوطي ، الإتقان ٣/٣ : ٣٤ .

٧- ابن العربي ، أحكام القرآن ١/١٣٩ ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط : عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، د-ت .

٨- انظر : ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ١٦٢/٣١ ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د-ت .

١- انظر : ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ١٩٣ : ٢٠٩ ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٢- انظر : ابن فارس ، الصحابي في فقه اللغة ، ص ١٩٧ ، تحقيق : مصطفى الشريفي ، ط : مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .

٣- انظر : الزركشى ، البرهان ٣/٢٣٣ .

بالنص ونسيجه المستحدث ، وتنشئ بين الكلمات ألفة جديدة تنقلها من سياقها التركيبي المؤلف إلى سياق مغاير يتم فيه إعادة انتظام الجمل بشكل يلفت القارئ..<sup>(١)</sup>

وإذا أصيب الأدب بالعثانة فذلك راجع ، لا إلى التقديم والتأخير ، بل إلى عدم تمكن الأديب من اللغة ، وضعف إحساسه بمواقع الكلمات ، وتكلفه في الحس والعبارة . الأديب المتمكن من لغته يدرك برهافة حسه أنه ما من تغيير في مواقع الكلمات إلا ويترتب عليه تغير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر<sup>(٢)</sup> بهذا التمكن ، وهذه الرهافة ينجو نتاجه من العثانة ، ويرتقى أسلوبه إلى مستوى أصحاب الأساليب الأدبية الرفيعة.

إن الكلمات لو تجمدت في مواقعها ، واستعصت على التحريك الأفقى تقدما أو تأخيرا ، لكان ذلك عيبا في اللغة ، وعجزا قاهرا في اللسان يحبس أنبل ما تشعر به النفس الإنسانية من حس دقيق ، واختلاجة خفية لا سبيل إلى أن تركب متن الكلمة ، وأن تبتلعها في داخلها وتفصح عنها في الأداء<sup>(٣)</sup> . وإلى شئ مما سبق لم يفتن العتابي ، وابن المدبر ، وابن طباطبا ، والسيرافي ، وابن سنان !

وما ذهب إليه أبو حيان من أن التقديم والتأخير من الضرورات التي ينتزه عنها القرآن الكريم ، إن هو إلا مذهب مخاتل ، ويكفى لتفنيده أن ننظر إلى قوله تعالى : " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله "<sup>(٤)</sup> ، وسوف نلاحظ أن تقديم " من آل فرعون " صان الدلالة من الالتباس ، وأن الصياغة القرآنية لو جاءت على أصل المواضع المكانية لكانت على النحو التالي : " وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون " ، وهنا يكون الناتج الدلالي بعيدا عن المستهدف ، ويكون المعنى أن الرجل من غير آل فرعون ، لكنه يكتم إيمانه خوفا منهم ، وما إلى هذا المعنى تقصد الآية الكريمة . إذن فلا سبيل فإنها تؤدي إلى بلوغ المستهدف المقصود إلا بتقديم " من آل فرعون "<sup>(٥)</sup> .

ولو خلا القرآن الكريم من التقديم والتأخير لكان الجاهليون أول المبادرين إلى اتهامه بالنقص - تعالى كلام الله عن أي نقص - على أساس أن التقديم والتأخير كان معروفا فيما أنتج عصرهم من روائع شعرية ، وأنه كان طابعا مميزا للعبارة الشعرية في شعرائهم ، وأن القرآن يتحداهم فيما كانوا فيه يبرعون .

ومع تقديرنا لغيرة أبي حيان الدينية إلا أنه لو تأنى قبل أن يصدر حكمه بتتزيه القرآن عن التقديم والتأخير ، لأدرك أن الجملة القرآنية " بناء قد أحكمت لبناته ، ونسقت أدق تنسيق ، لا تحس فيها بكلمة تضيق بمكانها.. أو لا تتعايش مع أخواتها ، حتى صار .. من المستحيل

- 
- ٤- انظر : د. خيرة حمر العين ، شعرية الانزياح : دراسة في جماليات العدول ص ٣٨ : ٣٩ ، ط: الأولى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .  
١- انظر : د. محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ص ٢٥٠ ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .  
٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧١ .  
٣- غافر : آية ٢٨ .  
٤- انظر : د. محمد عبد المطلب ، البلاغة العربية قراءة أخرى ، ص ٢٤٩ : ٢٥٠ .

أن تغير في الجملة كلمة بكلمة كأنما لم يخلق الله سبحانه لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ " (١). وإذن فلا صحة لما يقال من أن التقديم والتأخير يفكك نظم القرآن ويذهب بحلاوته .

ولتفنيد ما ذهب إليه ابن قتيبة وابن فارس من أن التقديم والتأخير ضرب من المجاز ، يكفى القول بأنه لا مجاز بغير علاقة وقرينة ، والتحريك الأفقى للدوال بالتقديم والتأخير يتم دون علاقة أو قرينة ؛ ولهذا كان الزركشى أبعد نظرا فى إلحاحه على الفصل بين ما هو من المجاز ، وما هو من التقديم والتأخير .

أيا كان الأمر فقد أثمرت جهود القدامى ، فى دراسة التقديم والتأخير ، عن نتائج جديرة بالتقدير ، وأخرى تمس الحاجة إلى مراجعتها . ومما تمس الحاجة إلى مراجعته أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص " (٢) ، وأن فائدة تقديم الجار والمجرور تقتصر على الاختصاص والمشكلة بين رءوس الآى (٣) ، أو على الاهتمام والاختصاص ومراعاة نظم الكلام (٤) .

وقد اتخذت هذه الدراسة من سورة البقرة ميدانا لها ؛ لأنها أكبر سور القرآن الكريم ، ومن ثم فهى زاخرة بالشواهد التى يمكن استخلاصها ، التى تعزز صحة بعض ما تقرر سلفا ، وتصوب أخطاء بعض القواعد التى أرساها الأوائل ، وتضيف إلى الشواهد المكرورة جديدا يكسر نمطية الاستشهاد .

فى سورة البقرة العديد من أنواع التقديم والتأخير ؛ كالتقديم بالسبق فى مثل قوله تعالى : " وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ... " (٥) ؛ فأبراهيم عليه السلام إنما تقدم ، على من جاء من الأنبياء بعده ، لكونه أسبقهم زمنا ، وعلى هذا الأساس تتابع ذكر الأنبياء من بعده . ومثله تقديم السنّة على النوم فى قوله تعالى : " لا تأخذ سنة ولا نوم " (٦)

وهناك التقديم بالشرف ؛ كما فى قوله تعالى : " الحر بالحر والعبد بالعبد " (٧) . ومثله تقديم القلب على السمع والبصر فى قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " (٨) ؛ لأن الحواس تقوم على خدمة القلب وتوصل إليه ، وهو

١- د. منير سلطان ، بلاغة الكلمة والجملة والجمال ، ص ١٠٧ ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د .

٢- العلوى ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٦٦/٢ ، تحقيق : د. عبد الحميد

هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

٣- السابق ٤٠/ ٢ .

٤- ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر ٢١١/٢ .

١- البقرة : آية ١٣٦ .

٢- البقرة : آية ٢٥٥ . السيوطى ، الإتيقان ٣٨/٣ .

٣- البقرة : آية ١٧٨ . السيوطى ، الإتيقان ٣٥/٣ .

٤- البقرة : آية ٧ . السيوطى ، الإتيقان ٣٥/٣ .

المقصود . ثم قدم السمع على البصر ؛ لأن السمع أشرف ، ولشرفه جاءت الصفة سميع سابقة على الصفة عليم في الكثير من آيات سورة البقرة .<sup>(١)</sup>

ومنه تقديم جبريل على ميكائيل في قوله تعالى : " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين " <sup>(٢)</sup> ؛ ذلك أن جبريل صاحب الوحي والقلم ، وميكائيل صاحب الأرزاق ، والخيرات النفسانية أفضل من الخيرات الجسمانية .<sup>(٣)</sup>

وثمة التقديم باعتبار السبب ؛ كتقديم العليم على الحكيم في قوله تعالى : " قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم " <sup>(٤)</sup> ؛ لأن الإحكام لا بد أن ينشأ عن العلم . ومنه تقديم التوبة على الطهارة في قوله تعالى : " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " <sup>(٥)</sup> ، وإنما تقدمت التوبة لكونها سببا في الطهارة . وكذلك تقديم العزيز على الحكيم في قوله تعالى : " فاعلموا أن الله عزيز حكيم " <sup>(٦)</sup> ، وبدهى أن الله عز فحكم .

وثمة التقديم لعظم المقدم والاهتمام به ؛ كتقديم الصلاة على الزكاة في نحو قوله تعالى : " وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .. " <sup>(٧)</sup> ، فبدأ بالصلاة لأنها أهم ، وفي صلاحها

ونجد الكلمة تتقدم في آية ، وتتأخر في آية أخرى ؛ كتقديم الشفاعة وتأخير العدل في قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " <sup>(٨)</sup> ، وتقديم العدل وتأخير الشفاعة في قوله تعالى : " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون " <sup>(٩)</sup> ؛ فمن كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ، ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ، ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين .<sup>(١٠)</sup>

ومنه تقديم كلمة بصير في قوله تعالى : " والله بصير بما يعملون " <sup>(١١)</sup> ، وتأخيرها في قوله تعالى : " إن الله بما تعملون بصير .. " <sup>(١٢)</sup> . إلى غير ذلك من أنواع التقديم والتأخير<sup>(١٣)</sup> التي يخرج استقصاؤها عن أهداف الدراسة .

٥- انظر : البقرة ، الآيات : ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٨١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ . السيوطي ، الإتيان ٣/٣٥

: ٣٦ .

٦- البقرة : آية ٩٨ .

٧- انظر : الزركشي ، البرهان ٣/٢٥٦ .

١- البقرة : آية ٣٢ .

٢- البقرة : آية ٢٢٢ .

٣- البقرة : آية ٢٠٩ . وكذلك الآية ٢٢٨ . وأما تقديم صفة الحكيم على العليم في سورة الأنعام [الآيات :

٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩] فلأنه مقام تشريع الأحكام . انظر : السيوطي ، الإتيان ٣/٣٩ .

٤- البقرة : آية ٤٣ .

٥- البقرة : آية ٤٨ .

٦- البقرة : آية ١٢٣ .

٧- انظر : تفسير الفخر الرازي ٨/٣ . الألوسي ، روح المعاني ١/٢٥٢ ، ط: دار إحياء التراث العربي ،

بيروت ، ١٩٩٩ م .

٨- البقرة : آية ٩٦ .



وتنصب هذه الدراسة على التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية ، من خلال ثلاثة محاور : تقديم المسند إليه ، تقديم المسند ، ثم تقديم المتعلقات .

### تقديم المسند إليه :

المسند إليه هو الفاعل وما ينوب عنه فى الجملة الفعلية ، أما فى الجملة الاسمية فهو المبتدأ الذى له خبر ، أو ما كان أصله المبتدأ ؛ كاسم كان ، واسم إن ، والمفعول الأول للفعل ظن ، والمفعول الثانى للفعل رأى .

ويأتى المسند إليه ، فى سورة البقرة - أو فى غيرها من النواج الأدبى - مثبتا تارة ، منفيا تارة أخرى . وإذ يتقدم على مسنده لا يتقدم اعتباطا ، بل لتحقيق نواتج دلالية يترتب على تحقيقها - أحيانا - اتساق بين فواصل الآى .

وتعد المبادرة إلى تعظيم المسند إليه أحد النواتج الدلالية المستهدفة من جراء تقديمه ، يبدو ذلك فى مثل قوله تعالى : " الله لا إله إلا هو الحى القيوم " (٣) . وما يفيد وجود المسند إليه ، فى صدارة الجملة ، من مبادرة المتلقى إلى تعظيمه ، لا يفيد قولنا : " لا إله إلا الله هو الحى القيوم " .

ومن مقاصد تقديم المسند إليه المبادرة إلى تحقيره ؛ كما فى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " (٤) . المقام فى الآية مقام وعيد وإنذار ؛ وعيد من مغبة الوعود الشيطانية ، وإنذار من الاستسلام لأوامر محرضة على ما يغضب الله . والمستهدف هو حمل المتلقى على أن يبادر إلى احتقار وعود الشيطان وأوامره ، ولكى يتحقق هذا المستهدف لم يكن بد من جعل المسند إليه " الشيطان " فى صدر الجملة الخبرية . ولئن كان الوعيد والإنذار يستحضران المتلقى بوصفه أحد طرفى الاتصال ، فلاشك أن للمبدع حضوره فى تحقيق المستهدف الدلالي ، وله قصده فى إخافة المتلقى وبعثه على احتقار وعود الشيطان وأوامره .

وقد يتقدم المسند إليه المثبت ، على خبره الفعلى تعجيلا للمسرة ؛ فالمتلقى الذى راعه تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يغدو فى أمس الحاجة إلى ما يحيل فزعه أمنا ، ويبعث فى نفسه السرور ؛ لذلك تقدم المسند إليه فى قوله تعالى : " والله يعدكم مغفرة منه وفضلا " (٥) . فزعه يعقبه وعد مضمون يبعث فى النفس تفاؤلاً وطمأنينة ، لكننا لو قلنا : " يعدكم الله مغفرة منه وفضلا " فليس ثمة تعجيل بالمسرة ، بل إن الطمأنينة تخبو ، والتردد يتسرب إلى الذهن . ومع أن للمتلقى حضوراً كبيراً فى التشكيل البلاغى ، فإن حضوره لا يبلغى قصد المبدع إلى إنتاج هذا المعنى . ولتأكيد الحكم وتقويته تقدم المسند إليه فى مثل قوله تعالى : " وإذا لقوا الذين آمنوا

١- البقرة : آية ٢٣٧ .

٢- أحصى السيوطى - نقلا عن ابن الصانع - عشرة أنواع من التقديم والتأخير ، وأشار إلى أن آخرين ذكروا أسبابا أخرى . انظر ، الإتقان ٤٠/٣ : ٤١ .

٣- البقرة : آية ٢٥٥ .

٤- البقرة : آية ٢٦٨ .

١- البقرة : آية ٢٦٨ .

قالوا آمنة ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزى بهم ..  
" (١)

إن حالة التذبذب والخداع ، التي كان عليها المنافقون ، تقتضى حكما فيه من التأكيد والتقوية ما يردعهم ، ويردع المقتدين بهم في كل زمان ومكان ؛ لهذا تقدم المسند إليه " الله " على مسنده الفعلى " يستهزئ " بحيث غدا الحكم بالاستهزاء مسندا مرتين : مرة إلى المسند إليه المقدم ، وأخرى إلى الضمير المستتر فى الفعل . وما يسند من الأحكام مرتين أقوى وأكد - بداهة - مما يسند مرة واحدة .<sup>(١)</sup> قال الزمخشري " ت نحو

٥٣٨ هـ : " إن الله عز وجل هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ " (٣) ، لكن هذه الأبلغية تتضاءل لو قلنا : يستهزئ الله بهم " .

ما لا تخطئ العين ملاحظته أن المسند إليه المثبت ، يتقدم على مسنده الفعلى المثبت ، تحقيقا لا لنتائج دلالي واحد ، بل لأكثر من ناتج ، وشواهد ذلك عديدة ، أذكر منها - تمثيلا لا حصرا - قوله تعالى :

" والله يرزق من يشاء بغير حساب .. " (٤)

" والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم " (٥)

" والله يقبض ويبسط .. " (٦)

" والله يضاعف لمن يشاء .. " (٧)

بناء الجملة ، فى الأربعة الشواهد الأنفة ، متماثل من حيث تقديم المسند إليه المثبت ، على المساند الفعلية المثبتة ، وقد تعددت نواتجه الدلالية ؛ فهناك التلذذ بذكر المسند إليه ، مع ما يبعثه وجوده ، فى مقدمة الجمل ، من تفاؤل وسكينة يمتلئ بهما وجدان المتلقى الذى يغدو مهينا لاستقبال ما يتعلق بالمسند إليه - من أحكام .

هناك ناتج دلالي ثان يتمثل فى تقوية الأحكام وتأكيدها بسبب إسنادها مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمائر المستترة فى كل فعل ، ومن ثم فإذا ذكر الحكم كان أشد ثبوتا ، وأنفى للشبهة ، وأمنع للشك ، وأدخل فى التحقيق ؛ فإن إعلامك الشيء بغنة ليس

٢- البقرة : آية ١٥ .

٣- انظر :

- السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٢٢١ : ٢٢٢ ، بشرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- د. تمام حسان ، البيان فى روائع غريب القرآن ١٣٥/٢ ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١- الزمخشري ، الكشاف ١/ ١٠٥ ، ط : الثانية ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

٢- البقرة : آية ٢١٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٣ .

٤- البقرة : آية ٢٤٥ .

٥- البقرة : آية ٢٦١ .

كإعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجرى مجرى تكرير الإعلام فى التأكيد والإحكام .<sup>(١)</sup>

أما آخر النواتج الدلالية فهو اختصاص المسند إليه بالرزق ، والهداية ، والقبض ، والبسط ، والمضاعفة لمن يشاء من عباده . وليس صحيحا القول بأن إفادة الاختصاص تتحقق إذا تأخر المسند إليه فى الشواهد الأربعة ؛ فإن التأخير يعطى ناتجا دلاليا مغايرا ؛ إذ يجعل المعنى على الإخبار ، ولا يكون الاختصاص مستهدفا ؛ لأنه إنما قصد وأريد بالتقديم ، ومتى انتفى التقديم انتفى معه الاختصاص .

ولقد يترتب على الناتج الدلالي المستهدف أصلا من تقديم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، اتساق بين فواصل الأولى ، يظهر ذلك فى مثل قوله تعالى : "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون"<sup>(٢)</sup>

فالجملية الحالية : " وهم يعلمون " تقدم فيها المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، استهدافا لناتج دلالي بالدرجة الأولى ، ذلك الناتج هو تقوية الحكم وتأكيده ، وإنما احتاج الحكم إلى التقوية والتأكيد بسبب ذلك الفريق من العلماء الذين يعرفون صحة ما جاء به الرسول - عليه الصلاة والسلام - كما يعرف الواحد منهم ولده ، ولكنهم يأبون إلا أن يكتموا الناس ما فى كتبهم من صفة النبى<sup>(٣)</sup> ، فاقترضى واقع حالهم أن يساق الكلام عنهم بطريقة فيها تقوية وتأکید .

ويتأخير المسند " يعلمون " اتسقت الفاصلة النونية ، فى الآية الكريمة ، مع فاصلتين يسبقانها<sup>(٤)</sup> ، وفاصلة تليها<sup>(٥)</sup> .

واستهدافا للناتج الدلالي بالدرجة الأولى ، مع ما ترتب عليه من الاتساق بين فواصل الأولى ، تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، وذلك فى قوله تعالى : " أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " <sup>(٦)</sup> .

والمعنى أن اليهود عقلوا التوراة ووعوها ، ثم حرفوها بأن جعلوا الحلال فيها حراما والحرام حلالا ، والحق فيها باطلا والباطل حقا ، فإذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب ؛ فهو فيه محق . وإذا جاءهم من

٦- انظر : عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ١٥٩ .

١- البقرة : آية ١٤٦ .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١/١٨٤ ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٣- أعنى فاصلة الآيتين ١٤٤ : ١٤٥ .

٤- أعنى فاصلة الآية ١٤٧ .

١- البقرة : آية ٧٥ .

يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة أمره بالحق .<sup>(١)</sup> وهم ينكرون التحريف ، وينكرون علمهم به ، فافتضى إنكارهم توكيد الحكم " العلم " وتقويته بتقديم المسند إليه .

وإذ تقدم المسند إليه تأخر المسند ، فأسهم تأخيره فى اطراد الاتساق بين عشرين فاصلة نونية تسبقه<sup>(٢)</sup> ، وثمانى وعشرين تليه<sup>(٣)</sup> ، وهو اطراد يجعل المعنى ألصق بالذاكرة ، والتلقى فعلا ممزوجا بالبهجة .

وكما يتقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المثبت ، يتقدم على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغائتين : دلالية ولفظية، نرى مثلاً لذلك قوله تعالى : "ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون " <sup>(٤)</sup> .

والغاية الدلالية المستهدفة هى اختصاص الكافرين بعدم العقل ليكونوا عبرة لغيرهم ممن هم بالدواب السارحة أشكل ، ولكن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم ممن يعقلون أوامر الله ونواهيه .

والغاية اللفظية هى الاتساق بين الفواصل ؛ فالفاصلة " يعقلون " مبنية على النون،

وقد اتسقت مع ثلاث فواصل نونية تسبقها<sup>(٥)</sup> ، وفاصلة تليها<sup>(٦)</sup> .

كذلك تقدم المسند إليه المثبت ، على مسنده الفعلى المنفى ، استهدافا لغائتين : دلالية ولفظية ، وذلك فى قوله تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون " <sup>(٧)</sup> .

فالاختصاص هو الغاية الدلالية المستهدفة من قصر الحكم ، بعدم العلم ، على المأمورين بالجهاد متى استنفروا ، بغض النظر عن كراهم للقتال ، على أن الحكم لا يتعداهم إلى غيرهم من العجائز والحوامل والشيوخ وسواهم من الفئات التى لا تؤمر بقتال . ثم جاءت القرينة<sup>(٨)</sup> : " والله يعلم " لتعزيز الناتج الدلالي المستهدف . ولو قلنا : " والله يعلم ولا تعلمون " فسوف ننتهى إلى ناتج دلالي مغاير . والاتساق بين الفواصل هو الناتج اللفظى لتأخير المسند ، إذ اتسقت الفاصلة النونية " تعلمون " مع أخرى جاءت بعدها<sup>(٩)</sup> .

٢- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ١١٠/١ .

٣- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٧٤ .

٤- هى فواصل الآيات ٧٦ : ١٠٣ .

٥- البقرة : آية ١٧١ .

١- هى فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧٠ .

٢- هى فاصلة الآية ١٧٢ .

٣- البقرة : آية ٢١٦ . ومثلها الآية : ٢٣٢ من السورة نفسها .

٤- القرينة هنا تعزز إفادة الاختصاص ، ولا تمنع إرادة المعنى الأصلي ، ومن ثم فهى مختلفة عن قرينة المجاز .

٥- هى فاصلة الآية ٢١٧ .

أما إذا كان المسند إليه منفياً ، وتقدم على مسنده الفعلى المثبت ، فإن نواتجه تختلف من سياق إلى آخر ؛ ففي مثل قوله تعالى : " أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم ينصرون " <sup>(١)</sup> نجد الناتج الدلالي الذى يعطيه تقدم المسند إليه المسبوق بالنفى ، على مسنده الفعلى " ينصرون " ، هو اختصاص من اشتروا الدنيا بالآخرة - دون سواهم - بعدم النصر .

والناتج اللفظى هو اطراد الاتساق بين تسع وأربعين فاصلة نونية ؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة " ينصرون " مع إحدى وثلاثين فاصلة نونية تسبقها <sup>(٢)</sup> ، وسبع عشرة جاءت بعدها <sup>(٣)</sup> . وفى ظل ما يمتاز به حرف النون من غنة ، وما يسبقه من مدود ، تبحر المعانى إلى الوجدان محفوفة بالإيقاعات العذاب ، ويصبح التلقى فعلاً ممتعاً ، لا تشوبه شائبة من ملل برغم ارتفاع معدل الفواصل إلى تسع وأربعين .

وفى مثل قوله تعالى : " فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون " <sup>(٤)</sup> ، نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الفعلى ، استهدافاً لغائيتين : دلالية ولفظية ؛ أما الدلالية فهي نفى الحكم " الحزن " عن الهداة متى حضرهم الموت <sup>(٥)</sup> ؛ لاستبشارهم بلقاء ربهم ، وإثباته - أى الحكم - على الكافرين وعصاة المؤمنين الذين تسود وجوههم إذا حضرهم الموت ؛ وذلك لسوء أعمالهم . وأما الغاية اللفظية فهي اتساق الفاصلة النونية مع عشر فواصل جاءت بعدها <sup>(٦)</sup> .

وتظهر هيمنة السياق على الناتج الدلالي حين نجد الجمل الخبرية تتماثل بناء وتتخالف نواتجها الدلالية ، ولتأكيد ما سبق نفف بإزاء شاهدين : أحدهما قوله تعالى : " وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار " <sup>(٧)</sup> .

وسوف نجد الاختصاص ناتجاً دلالياً استهدفه تقدم المسند إليه المنفى ، على مسنده الاسمى المشتق " خارجين " ، لكن الخلود فى النار لا يتعدى المحكوم عليهم إلى عصاة المؤمنين ؛ ذلك أن المؤمن العاصى يخرج من النار بشفاعة الشافعين . هذا شاهد .

والآخر قوله تعالى : " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين " <sup>(٨)</sup> . لا يصح عقلاً ونقلاً أن يختص الله المنافقين من الأوس والخزرج بعدم الإيمان ؛ فإن

---

٦- البقرة : آية ٨٦ . وانظر شواهد أخرى جرت على هذا البناء ، وذلك فى سورة البقرة ، الآيات : ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٢ ، ١١٢ ، ١٢٢ : ١٢٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ .

١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٥ .

٢- هى فواصل الآيات ٨٧ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٣٨ .

٤- انظر : الشوكانى ، فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٩٣/١ ، ط : الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٥- هى فواصل الآيات ٣٩ : ٤٨ .

٦- البقرة : آية ١٦٧ .

١- البقرة : آية ٨ .

ذلك يتنافى - من بعض الوجوه - مع عدل الله وسعة رحمته ، وإنما تقدم المسند إليه المنفى ، على مسنده الاسمي المشتق " مؤمنين " لتأكيد الحكم بعدم الإيمان عن مناقى الأوس والخزرج ، وبيان كذبهم فيما يزعمون ، وخصوصاً أنهم أكدوا زعمهم الإيمان بتكرار الباء فى قولهم : " وباليوم الآخر " ، مع أنه كان بوسعهم أن يقولوا : "أما بالله واليوم الآخر " ، لكن هذه الباء عززت زعمهم الإيمان باليوم الآخر ، بحيث بدا وكأنه إيمان مستقل .<sup>(١)</sup> وهكذا نجد المسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمي المشتق ، ليفيد اختصاصاً فى سياق ، وتأكيذاً فى سياق آخر ، مما يقطع بأن العبرة بالسياق لا باتحاد الجمل من حيث البناء .

بل إن الجملة تتماثل بناءً وكلمات وحروفاً فتفيد فى سياق غير ما تفيده فى سياق آخر ، آية ذلك أننا لو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " فى قوله تعالى : " إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون " <sup>(٢)</sup> ، فسوف نجد الاختصاص هو الناتج الدلالى المستهدف من تقديم المسند إليه المنفى على مسنده الفعلى المثبت ؛ فالكفار مختصون بعدم الإمهال ، مستحقون العذاب المتواصل ، لكن الحكم بعدم الإنظار لا يتعداهم إلى عصاة المؤمنين ، الذين يمهلون ، وتدركهم شفاعة الشافعين .

ولو نظرنا إلى جملة " ولا هم ينظرون " فى قوله تعالى : " لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ، ولا عن ظهورهم ، ولا هم ينصرون ، بل تأتيهم بغتة فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون " <sup>(٣)</sup> ، فلن نجد فى تقديم المسند إليه المنفى " ولا هم ينظرون " ما يفيد الاختصاص ؛ فإن الساعة متى قامت لا تمهل مؤمناً أو كافراً ، وإنما أفاد تقديم المسند إليه المنفى ، على مسنده الفعلى المثبت ، تقوية الحكم وتأكيده أن الكافرين لا يمهلون فى تلك اللحظات كما أمهلوا فى الدنيا حين استعجلوا وقالوا : متى هذا الوعد <sup>(٤)</sup> .

إن الجملة التى أفادت الاختصاص هى بعينها التى أفادت تقوية وتأكيده ، لم يختلف من حروفها حرف ، وإنما الذى اختلف هو السياق ، مما يؤكد أن الملفوظات المتماثلة لا يتأتى تحديد معناها بدقة إلا إذا عرفنا السياق الذى وردت فيه <sup>(٥)</sup> .

### **تقديم المسند :**

المسند إما أن يكون فعلاً تاماً ، أو اسم فعل ، أو خبراً للمبتدأ ، أو مصدراً نائب عن فعل الأمر ، أو ما كان أصله خبراً ؛ نحو أخبار كان وإن ، والمفعول الثانى للفعل ظن ، والمفعول الثالث للفعل رأى .

٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٨١ : ١٨٢ .

٣- البقرة : آية ١٦١ : ١٦٢ .

٤- الأنبياء : آية ٣٨ : ٣٩ .

١- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب ، ص ١٧٩ .

٢- انظر : على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري : من البنية إلى القراءة ، ص ٣٩ ، ط : الأولى ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

وإذ ننظر إلى تقديم المسند ، فى سورة البقرة ، نجده يستهدف نواتج دلالية ما كان لها أن تتحقق حال احتفاظه بأصالة موقعه . ويعد التخصيص من أبرز النواتج التى يستهدفها تقديم المسند ، يبدو ذلك فى قوله تعالى : " والله المشرق والمغرب " (١) . الجملة هنا اسمية ، والأصل فيها أن يتقدم المسند إليه ، ولا سيما أنه معرفة ، ولكن خولف الأصل لصالح الناتج الدلالي المستهدف وهو اختصاص الله وحده بملكية المشرق والمغرب . ولو ردت البنية إلى أصلها تكون : " المشرق والمغرب لله " ويكون الناتج غير الناتج المستهدف ، كما يظل إيقاع الملكية على شريك مع الله احتمالا واردا ، مع ما فى ذلك من فساد للمعنى والعقيدة .

ومما تقدم فيه المسند استهدافا للاختصاص قوله تعالى : " ولهم فيها أزواج مطهرة .. " (٢) . ومع أن النحاة يجيزون الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، إلا أن الصياغة القرآنية انحازت إلى الوظيفة البلاغية للغة حفاظا على الناتج الدلالي المستهدف . إن تخصيص المؤمنين بالأزواج المطهرة لا يحققه قولنا : " أزواج مطهرة لهم فيها " ؛ لذلك لم يكن بد من العدول عما يجيزه النحو إلى ما يتطلبه الناتج الدلالي المستهدف .

ومن ذلك قوله تعالى : " ولهم فى الدنيا خزى .. " (٣) ، والمعنى أن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى فى خرابها ، اختصه الله بالخزى فى الدنيا ، وليس لهذا الناتج الدلالي أن يتحقق إلا بتقديم المسند ، ولو عاد المسند إلى أصل موقعه لأنتج غير المستهدف إنتاجه ، وأوهم أن " لهم " صفة للنكرة " خزى " .

ومنه قوله تعالى : " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء " (٤) ، حيث تقدم المسند " عليك " وتأخر المسند إليه " هداهم " لغاية دلالية هى تخصيص الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بعدم الهداية ؛ قال تعالى : " وما على الرسول إلا البلاغ المبين " (٥) . على الرسول البلاغ ، أما الهداية فليس مختصا بها ، والقرينة المعززة لذلك هى : " ولكن الله يهدى من يشاء " .

ومنه قوله تعالى : " ولنا أعمالنا ، ولكم أعمالكم " (٦) . الناتج الدلالي المستهدف هو تخصيص كل فريق بأعماله تخصيصا لا يدع للمشركين مجالا للتوصل من أعمالهم . ومع أن المسند إليه " أعمالنا - أعمالكم " معرفة ، وبه يصح الابتداء ، إلا أن القاعدة انتهكت لصالح الدلالة المستهدفة التى لا تحققها الدوال متى عادت إلى مواقعها الأصلية .

واحتراسا من الالتباس الدلالي تقدم المسند على المسند إليه فى قوله تعالى : " ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين " (٧) ؛ ذلك أن احتفاظ المسند " لكم " بأصالة موقعه يوهم

٣- البقرة : آية ١١٥ . ومثل ذلك تخصيص المسند بالمسند إليه فى الآية ١٤٢ من السورة نفسها .

٤- البقرة : آية ٢٥ .

١- البقرة : آية ١١٤ .

٢- البقرة : آية ٢٧٢ .

٣- النور : آية ٥٤ . العنكبوت : آية ١٨ .

٤- البقرة : آية ١٣٩ .

٥- البقرة : آية ٣٦ .

المتلقى بأنه صفة للنكرة " مستقر " ، على أساس أن الجمل وأشباهاها بعد النكرات صفات، ومن ثم يظل المتلقى منتظرا الخبر ، متوهما أنه لم يأت بعد . ما يعزز أوهام المتلقى أن حاجة النكرة إلى الصفة أمس من حاجتها إلى الخبر<sup>(١)</sup> . فلا مفر إذن من تقديم المسند تحريرا للمتلقى من الأوهام ، وصيانة للنتائج الدلالية المستهدف من الاضطراب .

ومن مقاصد تقديم المسند تشويق المتلقى إلى المسند إليه المتأخر ، يظهر ذلك في قوله تعالى : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب .. " <sup>(٢)</sup> . الآية تأتي في سياق الوعظ ، وإرادة التشويق تكثر فيما يوعظ به ويمدح . وإذ يجد المتلقى المسند " البر " متقدما تستحصد أشواقه إلى معرفة المسند إليه .

ومن ذلك قوله تعالى : " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم يعقلون .. " <sup>(٣)</sup> ، فالمتلقى يجد المسند " في خلق السماوات والأرض .. " متقدما ، فنثار أشواقه إلى معرفة المسند إليه " آيات " . هنا نلاحظ أن الآية تأتي في سياق الوعظ ، وتوجه المتلقى إلى نعم الله ودلائل قدرته ، ومن ثم فليس غريبا أن يكون للمتلقى أقوى حضور في التشكيل البلاغي ، وإن لم يبلغ حضوره القوى قصد المبدع إلى إثارة أشواقه لمعرفة المسند إليه ، لاسيما أن المسافة بعيدة بين موقع المسند وموقع المسند إليه ؛ قال المراغي : " إذا كان في المسند المتقدم طول يشوق النفس إلى ذكر المسند إليه فيكون ذكره بعدئذ أوقع وأتم " <sup>(٤)</sup> .

### تقديم المتعلقات :

المتعلقات هي المفعول به ، والجار ومجروره ، والظرف ، والحال ، وغير ذلك

من القيود . والأصل فيها أن تتأخر عن العوامل ، لكن هذا الأصل يُخَالَفُ قصدا إلى أهداف معنوية ولفظية يراد تحقيقها .

وإذ ننظر إلى المفعول به نجده يتقدم لا على الفعل فحسب ، بل على الفاعل ونائبه أيضا . ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طبيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون " <sup>(٥)</sup> . وقد حقق تقدم المفعول به " إياه " على عامله ناتجا دلاليا هو تخصيص العبادة بالله ، وهو ناتج لا يحققه المفعول به حال بقائه في موقعه الأصلي . ولو قلنا : " إن كنتم تعبدون إياه " فإن التردد يظل احتمالا قائما ، كما

- ١- انظر : د. درويش الجندي ، علم المعاني ، ص ٨٨ ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، د - ت .
- ٢- البقرة : آية ١٧٧ . وتجدر الإشارة إلى أن قراءة حمزة وحفص هي التي تعطي الآية صلاحية الاستشهاد بها على تقديم المسند وتأخير المسند إليه . انظر : الشوكاني ، فتح القدير ٢١٩/١ .
- ٣- البقرة : آية ١٦٤ .
- ٤- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ص ٩٨ ، هامش ١ ، ط : دار العلوم ، بيروت ، د - ت .
- ١- البقرة : آية ١٧٢ .



يظل إيقاع الحكم بالعبادة على غير الله احتمالا قائما أيضا . ما سبق يؤكد قول الطوفى " ت نحو ٧١٦ هـ " : " .. أنك لو قدمت الفعل فى " زيدا ضربت " مثلا ، فقلت : " ضربت " لبقى السامع مترددا فى عين المفعول ، لا يعلمها حتى تفرغ من التلفظ بالفعل ، ثم تصرح به ، ولكنك مخيرا قبل تمام التلفظ بالفعل فى إيقاعه على من شئت . وإذا قدمت المفعول علم السامع عينه بمجرد ذكره قبل ذكر الفعل ، وامتنع اختيارك فى الإيقاع إلا عليه ، لتعين الفعل له بتقديمه .. " (١) .

وكما حقق تقدم المفعول على الفعل ناتجا دلاليا ، حقق تأخر المسند " تعبدون " ناتجا لفظيا تمثل فى اتساقه مع أربع فواصل نونية تسبقه . (٢)

واستهدافا لنواتج دلالية ولفظية تقدم المفعول على الفعل والفاعل ، فى قوله تعالى : " يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون " (٣) . والمعنى : لا ترهبوا إلا الله . وليس لهذا القصر أن يتحقق إلا بإزاحة المفعول به من موقعه الأسمى ، وتقديمه على عامله ، خلافا للقاعدة . ولو عاد المفعول إلى موقعه الأسمى لانتهينا إلى غير الناتج الدلالي المستهدف .

أما تأخير العامل " فارهبون " فقد حقق ناتجا لفظيا هو الاتساق بين فواصل الآى ، حيث اتسقت به الفاصلة النونية مع فاصلتين تسبقانها (٤) ، وثمان لحقت بها (٥) . وبدهى أنه ما كان لهذا الاتساق أن يتحقق لو احتفظ المفعول بأصالة موقعه .

وخلافا لقانون الرتب المحفوظة تقدم المفعول على الفعل والفاعل فى قوله تعالى : " ولا تشتتوا بأياتى ثنا قليلا وإياى فاتقون " (٦) . وإنما استهدف الانحراف عن القانون نواتج معنوية ولفظية ؛ أما الناتج المعنوى فهو تخصيص الاتقاء بالله وقصره عليه ، بحيث لا يشاركه فيه غيره . وأما الناتج اللفظى فهو اتساق كلمة الفاصلة " فاتقون " مع ثلاث فواصل تسبقها (٧) ، وسبع لحقت بها (٨) . ولو ردت البنية إلى أصلها وقلنا : " فاتقوا إياى " لم يعد ثمة مجال للتخصيص أو الاتساق .

ومما تقدم فيه المفعول على الفعل والفاعل قوله تعالى : " وظللنا عليكم الغمام ، وأنزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ، وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " (٩) . يتجه الخطاب فى الآية الكريمة إلى اليهود ، ويعدد جانبا من نعم الله عليهم ،

٢- الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٥ .

٣- هى فواصل الآيات ١٦٨ : ١٧١ .

٤- البقرة : آية ٤٠ .

١- أعنى فاصلة الآيتين ٣٨ : ٣٩ .

٢- أعنى فواصل الآيات ٤١ : ٤٨ .

٣- البقرة : آية ٤١ .

٤- هى فواصل الآيات ٣٨ : ٤٠ .

٥- هى فواصل الآيات ٤٢ : ٤٨ .

٦- البقرة : آية ٥٧ .

ويشير إلى استعصائهم على طاعة الله برغم ما شاهدوه من معجزات إنزال المن والسلوى ، وهو استعصاء لم يظلموا به سوى أنفسهم . وفي تقديم المفعول على الفعل والفاعل مزيد اختصاص بكونهم هم ظالمى أنفسهم ولم يظلمهم أحد . وجاء النفى : " وما ظلمونا " تعريزا للاختصاص بوصفه الناتج الدلالى المستهدف ؛ قال الألوسى " ت نحو ١٢٧٠هـ " " وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفى السابق ، وفيه ضرب تهكم بهم .." (١) . وفي الآية استهزاء ضمنى بالعقل اليهودى ؛ فليس لعاقل أن يظلم نفسه . لا يظلم نفسه سوى سفيه . هذا الاستهزاء ميثوث فى أحشاء الصياغة التى قالتها دون أن تلفظ به .

وبتقدم المفعول به " أنفسهم " تأخر الفعل والفاعل " يظلمون " فاتسقت - من ثم - الفاصلة النونية مع اثنتين يسبقانها (٢) ، وست وأربعين فاصلة تأتى بعدها (٣) . ولولا التحريك الأفقى للدوال تقديما وتأخيرا ما كان للناجين : المعنوى واللفظى أن يتحققا .

أيضا تقدم المفعول على الفعل والفاعل فى قوله تعالى : " .. أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم ، وفريقا تقتلون " (٤) . المفعول فى الآية تقدم مرتين دون أن يفيد اختصاصا . والمقدم فى الآية هم الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل ، وكانوا عرضة للتكذيب والقتل . ولجدارتهم بالاهتمام تقدموا على الحكم تكديبا كان أو قتلا . وفى تقديمهم - أيضا- ما يثير أشواق المتلقى إلى معرفة مصائرهم (٥) ، وما ألم بهم من مكائد اليهود وحماقاتهم ، وما كان لهذا الناتج المعنوى أن يتحقق لو جاء المفعول به فى موقعه الأسمى وقلنا : " كذبتم فريقا ، وقتلتم فريقا " .

وهناك ناتج لفظى حققه تأخير المسند " تقتلون " ، وهو اطراد الاتساق بين فواصل تسع وأربعين آية ، منها اثنتان وثلاثون فاصلة تسبق الفعل تقتلون (٦) ، وست عشر جاءت بعده (٧) . ما تجدر ملاحظته أن الصياغة القرآنية عدلت ، فى كلمة الفاصلة، عن الماضى إلى المضارع ، وذلك من قبيل الحرص على اطراد الاتساق ، والإيحاء بدوام التجدد والاستمرار فى القتل . كان المتوقع أن تكون نهاية الآية : " وفريقا قتلتم " حتى تتواءم مع : " وفريقا كذبتم " ، لكن كلمة الفاصلة كسرت المتوقع حرصا على تواتر فاصلة النون المسبوقه بالمدود ، والننى تشيع مناخا صوتيا يساعد على ترسيخ المعانى فى الذواكر ، ويدعم الرغبة فى مزيد من التلقى الممتع . هذه ملاحظة

٧- الألوسى ، روح المعانى ١/ ٢٦٤ .

١- أعنى فاصلة الآيتين ٥٥ : ٥٦ .

٢- أعنى فواصل الآيات ٥٨ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٨٧ .

٤- انظر : روح المعانى ١/ ٣١٨ .

٥- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٦ .

٦- هى فواصل الآيات ٨٨ : ١٠٣ .

والأخرى هي أن إثارة أسواق المتلقى ، وإشباع حاجاته الجمالية ، لهما فى التشكيل البلاغى أقوى حضور ؛ فالمتلقى ، بوصفه أحد طرفى الاتصال ، يهيمن على الخطاب بدرجة كبيرة ، ولكنها هيمنة مقصودة من قبل المبدع .

ومما تقدم فيه المفعول على الفعل وفاعله قوله تعالى : " ومما رزقناهم ينفقون " (١) وإنما تقدم المفعول لئلا يتوهم ، بتقدير تأخيره ، جواز الإنفاق مما ليس بمملوك . وطبقا للطوفى فلا يصح التعلل بأن منطق العقل وقواعد الشرع يمنعان التصرف فى غير المملوك ؛ لأن الكلام ينبغى أن يكون مفيدا بليغا بذاته ، لا بالنظر إلى دليل خارجى ، فنحن استفدنا هذا المعنى من هذا اللفظ ، أما منطق العقل وقواعد الشرع فهما أدلة خارجية تؤكد المعنى (٢) .

وعزز تأخير الفعل وفاعله : " ينفقون " الاتساق بين خمس فواصل نونية ، منها فاصلة تسبق الفعل وفاعله (٣) ، وثلاث تلحق بهما (٤) .

ولمراعاة حال المتكلم تقدم المفعول على الفاعل فى قوله تعالى : " أو كاذبى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها " (٥) . بيت المقدس هو القرية المشار إليها فى الآية الكريمة ، وكانت قد تحولت - حين مرَّ عليها العزيز (٦) - إلى أطلال خربة بعد أن دمرها بختنصر - ملك بابل - وجنوده (٧) تدميرا لا عهد للناس به ، مما أورث العزيز روعا وربيا فى تلك القدرة التى يمكن أن تعيدها إلى ما كانت عليه من العمران ، ومن هنا تقدم المفعول " هذه " ليتناسب مع حال العزيز وما يستبد به من روع وشك (٨) . وهذا من خصائص البلاغة القرآنية التى تستطيع أن تكشف ، بوسائلها التعبيرية ، عن أدق الخجالات ، وأعمق الأسرار القابعة فى النفس الإنسانية (٩) . ولو ردت البنية إلى أصلها وقلنا : " أنى يحيى الله هذه " لما كان هناك ثمة فرق بين تخريب مألوف فى الحروب ، وتخريب لا عهد للناس به ، بل لكان ضئيلا إحساس العزيز بفداحة الخطب ، وحجم الشك فى إمكانية إعمار القرية .

ومما تقدم فيه المفعول على الفاعل قوله تعالى : " أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ... " (١٠) ، وإنما تقدم المفعول " يعقوب " على الفاعل " الموت " ؛ لأن مكانة يعقوب

- ١- البقرة : آية ٣ .
- ٢- انظر : الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٥ .
- ٣- هى فاصلة الآية ٢ .
- ٤- هى فواصل الآيات ٤ : ٦ .
- ٥- البقرة : آية ٢٥٩ .
- ٦- وهو رأى المشهور عند الجمهور . وذهب جماعة من العلماء إلى أن المار على القرية هو الخضر عليه السلام . انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ . الشوكانى ، فتح القدير ٣٥٦/١ .
- ٧- انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/١ .
- ١- وهذا واضح بدلالة الاستفهام على الاستبعاد فى قوله تعالى : " أنى يحيى هذه الله ؟ " .
- ٢- انظر : د. محمد محمد أبو موسى ، التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ١٤٦/١ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣- البقرة : آية ١٣٣ .

- عليه السلام - فى سياق الآية تجعله بالتقديم أجدر <sup>(١)</sup> ، ولأن الساعة ، التى هى محط الفائدة ، تحتم أن يكون يعقوب قادرا على القيام بدور الموصى ؛ حتى تبرأ وصيته من القدر فى صحتها .

ولو ردت البنية إلى أصلها وقلنا : " أم كنتم شهداء إذ حضر الموت يعقوب " لكان معناه أحد أمرين : غلبة سكرة الموت على يعقوب ، مما يجعله عرضته للتخليط ، ويفقده أهلية الموصى . هذا أمر .

والآخر : الموت المؤكد الذى يقطع صلة يعقوب بالحياة ، والذى يلغى كل مجال للوصية ، وأى وجود للموصى <sup>(٢)</sup> .

ما يعينى تأكيده هو أن تقدم المفعول به حقق إلى جانب الاختصاص ، فوائد دلالية أخرى ؛ كالاهتمام بالمقدم ، وتشويق السامع ، وعدم الإخلال بالمعنى ، ومراعاة حال المتكلم ، هذه الفوائد تصوب ما وقع فيه العلوى من خطأ حين أكد أن " المفعول إذا تقدم لزم الاختصاص " <sup>(٣)</sup> . حقا إن الاختصاص هو الفائدة الغالبة على تقدم المفعول ، ولكن كونها غالبية شيء ، وكونها لازمة شيء آخر .

وفضلا عن الفوائد الدلالية التى حققها - إلى جانب الاختصاص - تقديم المفعول به ، هناك فوائد لفظية تتمثل فى الاتساق بين فواصل الأى ، وهى فوائد لا يمكن إغفالها أو التقليل من جدواها لا فى التمكين للمعنى وتعزيز أثره فى نفس المتلقى فحسب ، بل فى جعل التلقى فعلا بهيجاً .

أما تقديم الجار والمجرور فله فى سورة البقرة صورتان : إحداهما أن يكون فى كلام منفى ؛ نحو قوله تعالى : " ذلك الكتاب لا ريب فيه " <sup>(٤)</sup> . وهنا يكون الناتج الدلالى مطلق النفى لما يزعمه الكفار ، عن القرآن الكريم ، من ريب <sup>(٥)</sup> . ويرى عبد القاهر أن قوله تعالى : " لا ريب فيه " بيان وتوكيد وتحقيق لقوله : " ذلك الكتاب " ، وزيادة تثبت له ، وبمنزلة أن تقول : " هو ذلك الكتاب ، هو ذلك الكتاب " ، فتعيده مرة ثانية لتثبته ، وليس يثبت الخبر غير الخبر <sup>(٦)</sup> .

ولو تقدم الجار ومجروره وقلنا : " لا فيه ريب " لأعطى ناتجا دلاليا غير

٤- انظر : الرازى ، نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز ، ص ٣١٦ ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط: الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

٥- انظر : د. عبد العظيم المطعنى ، التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ١/١٠٥ : ١٠٦ ، ط: الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

١- العلوى ، الطراز ٢/٦٦ .

٢- البقرة : آية ٢ .

٣- انظر : ابن النقيب ، مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ١٦٩ .

٤- انظر : عبد القاهر ، دلالات الإعجاز ، ص ٢٢٧ . وبين ابن الأثير والطوفى خلاف حول دلالة تأخر الجار والمجرور فى قوله تعالى : " لا ريب فيه " ، ودلالة تقديمه فى قوله تعالى : " لا فيها غول " . لمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير ، الجامع الكبير ، ص ١١١ ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، د - ت . الطوفى ، الأكسير ، ص ١٥٨ : ١٥٩ .

المستهدف؛ إذ ينفي الريب عن القرآن الكريم، ويثبته في سائر الكتب السماوية<sup>(١)</sup>. هذه صورة.

**والصورة الأخرى** يأتي فيها الجار والمجرور في المثبت من الكلام ، حيث يتقدم على رتبته تحقيقا لنواتج دلالية لا يحققها إذا احتفظ بموقعه الأصلي ، كما يحقق اتساقا بين فواصل الآى ، وهو ناتج لفظى له أثره الفعال فى حيوية التلقى وجعل المعنى أكثر رسوخا فى الذواكر ، لكن هذا الناتج ليس له صفة اللزوم .

ومما تقدم فيه الجار ومجروره ، على الفعل ونائبه ، استهدافا للناتج الدلالي وحده، قوله تعالى : " وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور " <sup>(٢)</sup>؛ فالحركة الأفقية التى تقدم من خلالها الجار ومجروره عمقت الناتج الدلالي ؛ إذ جعلت الحكم " مرجع الأمور " مقتصرا على الله ، بحيث لم يعد هناك ثمة احتمال للتردد أو إيقاع الحكم على غير الله ، وكأننا قلنا: " لا مرجع للأمر إلا إلى الله " . ولا أثر للتقديم فى الفاصلة .

واستهدافا للناتج الدلالي وحده - أيضا - تقدم الجار والمجرور على الفعل ونائبه فى قوله تعالى : " واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون " <sup>(٣)</sup>؛ فقصر الحشر على الله- بوصفه ناتجا دلاليا مستهدفا - لا يتأتى تحقيقه لو قلنا : " واتقوا الله واعلموا أنكم تحشرون إليه " ، وإنما يتحقق عن طريق إزاحة الجار والمجرور عن موقعه الأصلي ، وتقديمه على الفعل ونائبه . أما كون الناتج الدلالي هو المستهدف وحده فذلك راجع إلى أن كلمة "تحشرون " فاصلة مفردة ، وإن تواءمت مع شيوع فاصلة النون فى سورة البقرة .

وقد يستهدف تقديم الجار ومجروره الاختصاص ، ويكون فى تأخيرته إخلال بالمعنى ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما تفعلوا من شيء فإن الله به عليم " <sup>(٤)</sup> ؛ فاختصاص الله بالعلم بأفعال عباده خيرا كانت أو شرا - مع ما يترتب على ذلك من عادل الجزاء - ناتج دلالي استهدفه تقديم الجار ومجروره على خبر الناسخ . أما لو احتفظ الجار ومجروره بأصالة موقعه وقلنا : " وما تفعلوا من شيء فإن الله عليم به " فسوف ينتقى الاختصاص من ناحية ، وسوف يختل المعنى ؛ لأن المتلقى سوف يتوهم ، فى هذه الحال ، أن الجار ومجروره صفة للخبر النكرة . ودرءا لهذا التوهم ، وتحقيقا للاختصاص - فى آن - لم يكن بد من تقديم الجار والمجرور على خبر الناسخ . ولا علاقة للفاصلة بشيء مما تقدم ؛ لأن عليم فاصلة مفردة .

ولدفع الالتباس تقدم الجار والمجرور على المفعول به فى قوله تعالى : " وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم " <sup>(٥)</sup> . الالتباس المدفوع بتقديم الدوال على أصل مواقعها ، إنما

٥- انظر : السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص ٣٣٥ . الطبيى ، التبيين فى علم المعانى والبيدع والبيان ، ص ١٢٩ ، تحقيق : د. هادى عطيه مطر ، ط: الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . محمد مصطفى المراعى ، علوم البلاغة ، ص ٩٨ .

١- البقرة : آية ٢١٠ .

٢- البقرة : آية ٢٠٣ . وانظر : آية ٢٨ ، ٢٤٥ من السورة نفسها .

٣- البقرة : آية ٢١٥ .

٤- البقرة : آية ١٩٠ .

يظهر جليا إذا ردت البنية إلى أصلها وقلنا : " وقاتلوا الذين يقاتلونكم في سبيل الله "؛ إذ يغدو المعنى ملبسا ، والمتلقى حائرا لا يدري أى الطائفتين تقاتل في سبيل الله ، وأيهما تقاتل في سبيل الباطل ، ومن ثم يتعذر عليه الامتثال لأمر الله بالقتال . وإنقاذا للمعنى من الالتباس ، وللمتلقى من الحيرة ، لم يكن بد من تقديم " في سبيل الله " على المفعول به . هنا يبدو بوضوح أن البلاغة القرآنية تراعى أحوال المخاطبين ، وتتحاز إلى ما يصح به المعنى حتى لو انتهكت قانون الرتب المحفوظة .

وقد يجتمع في تقديم الجار والمجرور على المفعول به أكثر من ناتج دلالي ، على نحو ما يظهر في قوله تعالى : " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم " <sup>(١)</sup>؛ فاختصاص المفعول به بما تقدم عليه ناتج دلالي استهدفه تقديم " من ربه " على " كلمات " . وطمأنة آدم - عليه السلام - إلى أن الله تقبل توبته ناتج آخر استهدفه تقديم الجار والمجرور . ولو ردت البنية إلى أصلها وقلنا : " فتلقى آدم كلمات من ربه " فسوف ينتفى الاختصاص ، ولن يكون الكلام ملائما لتوق آدم على ما يطمئنه إلى قبول توبته .

وتعجيلا بالمسرة تقدم الجار والمجرور على المفعول به في قوله تعالى : " وأرسلنا فيكم رسولا منكم .. " <sup>(٢)</sup> . وذهب الألوسي إلى أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح " رسولا " استهدف التعجيل بإدخال السرور في نفوس المخاطبين <sup>(٣)</sup> . وفضلا عما سبق فإن احتفاظ الجار والمجرور بموقعه الأصلي يفقد الصياغة سلاستها ؛ فلو قلنا : " وأرسلنا رسولا فيكم منكم " لغدا الكلام عاريا من الفصاحة ، وأصابه شيء من التعقيد بسبب تتابع الجار والمجرور " فيكم منكم " .

وللاهتمام بالمقدم ، وإيلائه أكبر قدر من العناية ، تقدم الجار والمجرور على المصدر الذى ينوب عن الفعل الأمر في قوله تعالى : " لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا .. " <sup>(٤)</sup> . فليس هناك من هو أهم بالرعاية من الوالدين ، ولا من هو أجدر منهم بإحسان الأبناء . هنا تجدر الإشارة إلى أن إحسان الأبناء لا يمكن قصره على الآباء ، بدليل أن الآية وجهت إلى فئات أخرى تستحق الإحسان غير الوالدين .

وترى الجار والمجرور يتكرر داخل الآية الواحدة ، فيحتفظ بأصالة موقعه مرة ، ويتقدم على عامله مرة أخرى ، يظهر ذلك في قوله تعالى : " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا .. " <sup>(٥)</sup>؛ فالجار والمجرور " على الناس " جاء تاليا لشبه الفعل " شهداء " ؛ لأن أتباع النبي ، عليه الصلاة والسلام ، مكلفون بإبلاغ رسالة الله إلى الناس ؛ ليشهدوا عليهم بالإبلاغ يوم القيامة . وليست شهادتهم ، بعد الإبلاغ ، خاصة بأناس دون آخرين ؛ فإن الخطاب لعموم المؤمنين ، والمطلوب تبليغهم عموم غير المؤمنين ، لا خصوص فريق منهم <sup>(٦)</sup> .

٢- البقرة : آية ٣٧ .

٣- البقرة : آية ١٥١ .

٤- انظر : الألوسي ، روح المعاني ١٨/٢ .

١- البقرة : آية ٨٣ .

٢- البقرة : آية ١٤٣ .

٣- انظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ .

أما الجار والمجرور " عليكم " فقد تقدم على عامله " شهيدا " لهدف دلالي هو الاختصاص ، بمعنى اختصاصهم بشهادة الرسول عليهم <sup>(١)</sup> . إن احتفاظ الجار والمجرور " على الناس " بموقعه الأصلي ، ثم تقديمه في : " ليكون الرسول عليكم شهيدا " يؤكد أن التحريك الأفقى للدوال ، بالتقديم والتأخير ، لا يتم اعتبارا ، وإنما هو محكوم بمقاصد يراد تحقيقها ، فإذا انتفى المقصد احتفظت الدوال بأصالة مواقعها ، وفي هذا أبلغ رد على من يدعون أن التقديم وعدمه سواء .

ولقد تقع عملية التحريك الأفقى للدوال ، بالتقديم والتأخير ، في نهاية الآية ، وفي هذه الحال يغلب أن يكون الناتج المستهدف دلاليا ، ولفظيا ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون " <sup>(٢)</sup> ؛ فالجار والمجرور تقدم على الفعل وفاعله للإشارة إلى أن إيقانهم مقصور على حقيقة الآخرة لا يتعداها إلى خلاف حقيقتها مما يزعجه اليهود - مثلا- حيث قالوا : " لن يدخل الجنة إلا من كان هودا . " <sup>(٣)</sup> ، كما قالوا أيضا : " ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة . " <sup>(٤)</sup> ، كما قالوا أيضا : " وذكر الزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ " وواقفه السكاكي " ت نحو ٦٢٦ هـ " والسيوطي " ت نحو ٩١١ هـ " أن تقديم " الآخرة " وبناء " يوقنون " على " هم " فيه تعريض بأهل الكتاب وما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأن اليقين ما عليه من أمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك <sup>(٥)</sup> . هذا عن ناتج الدلالي .

وبتأخير الفعل وفاعله " يوقنون " تحقق الناتج اللفظي المستهدف ؛ إذ اتسقت كلمة الفاصلة مع فاصلتين تسبقانها <sup>(٦)</sup> ، واثنين تلحقان بها <sup>(٧)</sup> . ولا يتأتى لهذا الاتساق أن يتحقق لو رُدَّت البنية إلى أصلها وقلنا : " يوقنون بالآخرة " .

كذلك يقع التقديم والتأخير في نهاية الآية ، وذلك في قوله تعالى : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " <sup>(٨)</sup> ، وقد ترتب على وقوعه في نهاية الآية ناتجان : دلالي ولفظي ؛ أما الدلالي فهو قصر العبادة على الله سبحانه وتعالى حتى لكأننا نقول : " لا نعبد إلا الله " . هذا القصر لا يمكن تحقيقه لو احتفظ الجار والمجرور بموقعه الأصلي وقلنا : " ونحن عابدون له " ، بل إن الجار والمجرور لو احتفظ بموقعه الأصلي لأوهم المتلقى بأنه صفة للنكرة " عابدون " . وأما الناتج اللفظي فقد نشأ عن تأخير الخبر الذي مهد بدوره

٤- انظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . الشوكاني ، فتح القدير ١/١٩٢ . د. محمد محمد أبو موسى ، بلاغة التراكيب ، ص ١٣٣ : ١٣٤ .

١- البقرة : آية ٤ .

٢- البقرة : آية ١١١ .

٣- البقرة : آية ٨٠ . وانظر : الألوسي ، روح المعاني ١/١٢٣ .

٤- انظر : الزمخشري ، الكشاف ١/٢٣ . السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص ٢٣٤ . السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ٣/١٥٨ : ١٥٩ . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥- أعنى فاصلة الآيتين : ٢ ، ٣ .

٦- أعنى فاصلة الآيتين : ٥ ، ٦ .

٧- البقرة : آية ١٣٨ .

لاتساق ثلاث فواصل نونية جاءت بعده <sup>(١)</sup> . ما يعينى تأكيده أن تقديم الجار ومجروره وتأخير الخبر استهدف بالدرجة الأولى ضبط الدلالة وتحرير المتلقى من الأوهام ، ثم جاء الاتساق بين الفواصل ثمرة للمستهدف الدلالى .

وفى نهاية الآية تقدم الجار والمجرور على مكانهما فى التركيب برغم أن المبتدأ معرفة ، وذلك فى قوله تعالى : " غفرانك ربنا وإليك المصير " <sup>(٢)</sup> ؛ لأن الناتج الدلالى المستهدف هو تحديد الجهة التى يكون إليها المصير ، والنفى الضمنى لوجود أية جهة غيرها ، ولأن الناتج اللفظى المستهدف هو الاتساق بين الفواصل ، حيث اتسقت الفاصلة الرائية " المصير " مع الفاصلة " قدير " <sup>(٣)</sup> ، وكلا الناتجين لا يتحقق إلا بتقديم الجار والمجرور وتأخير الخبر .

ومن ذلك قوله تعالى : " وللكافرين عذاب مهين " <sup>(٤)</sup> حيث تقدم الجار والمجرور برغم أنه يصلح أن يكون فاصلة تسد مسد " مهين " ، وبرغم جواز الابتداء بالنكرة المخصصة بالوصف ، وإنما تقدم لناتج دلالى وهو مزيد اختصاص لهم بالعذاب المهين . هذا الناتج لا يتحقق لو قلنا : " وعذاب مهين للكافرين " .

ومن ذلك قوله تعالى : " بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " <sup>(٥)</sup> ، حيث تقدم الجار والمجرور " فيها " مرتين استهدافا لناتج دلالى هو الاختصاص بتحقيق موقع الخلود لكل فريق من الفريقين ، وتأکید أنه لا مكان - فى الآخرة - لليهود ومن اقتترف السيئات وغمرته الخطايا ، سوى النار . ولا مكان - فى الآخرة - للمؤمنين سوى الجنة . وإلى جانب هذا الناتج الدلالى هناك ناتج لفظى هو الاتساق بين الفواصل النونية ؛ فإن كلمة " خالدون " فى الآيتين ساعدت على اطراد الاتساق بين ست وعشرين فاصلة نونية تسبقها <sup>(٦)</sup> ، وإحدى وعشرين فاصلة تليها <sup>(٧)</sup> . ولو قلنا : " هم خالدون فيها " ما تحقق الاتساق .

ولأهمية المقدم ورعاية الفاصلة يفصل بين الصفة وموصوفها ؛ كما فى قوله تعالى : " وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم " <sup>(٨)</sup> ؛ فإن " من ربكم " صفة شبه جملة ، و " عظيم " صفة مفردة فصلت عن موصوفها " بلاء " ؛ ذلك أن مصدر البلاء أهم من صفته ، وأن الصفة " عظيم " تحمل من المد المعتاد قبل حرف الفاصلة ما لا تحمله كلمة " ربكم " . ومع أن المؤلف أن تنبع الصفة موصوفها بلا فاصل ، لكن لغة القرآن تكسر الإلف من أجل المعنى والإيقاع .

١- هى فواصل الآيات ١٣٩ : ١٤١ .

٢- البقرة : آية ٢٨٥ .

٣- وهى فاصلة الآية ٢٨٤ .

٤- البقرة : آية ٩٠ .

٥- البقرة : آية ٨١ ، ٨٢ .

١- هى فواصل الآيات ٥٥ : ٨٠ .

٢- هى فواصل الآيات ٨٣ : ١٠٣ .

٣- البقرة : آية ٤٩ .



ولرعاية الفاصلة تتقدم الصفة على الصفة ، نرى مثلا لذلك قوله تعالى : " وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم " <sup>(١)</sup> ؛ فالصفة رءوف تقدمت على الصفة رحيم ، لأن الرأفة رحمة وزيادة ، أو هي شدة الرحمة . إذن فقد قدم الأبلغ ، وكان يمكن أن تتقدم الرحمة ، وأن يكون التدرج في ذكر الصفات من الأدنى إلى الأعلى ، ولكن ذلك يخل بالاتساق بين الفاصلة الميمية في " رحيم " والفاصلة التي تسبقها " تستقيم " <sup>(٢)</sup> .

---

٤- البقرة : آية ١٤٣ .  
٥- وهي فاصلة الآية ١٤٢ . وانظر : محمد على الصابوني ، صفوة التفاسير ١/١٠٢ ، ط : الخامسة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

## النتائج :

- ١- فندت الدراسة ما أشاعه العتابي " ت نحو ٢٢٠ هـ" ، وابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ" ، وابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ" ، والسيرافي " ت نحو ٣٦٨ هـ" وابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ" ، من أن التقديم والتأخير يضيف على نتاج الأدباء غثاثة ، ويؤدى إلى فساد الصورة وتغيير المعنى . وأكدت أن اللغة المعيارية لا تمكن الأديب من التعبير عن أرفه الأحاسيس وأدق الخلجات ، ومن ثم فلا بد من خرق المعيار تعبيراً عما يتأبى التعبير عنه طبقاً لقوانين اللغة المعيارية . ولئن أصابت الغثاثة بعض النصوص فذلك يرجع لا إلى الاستعانة بالتقديم والتأخير ، بل إلى تكلف الحس والعبارة ، وإلى عدم تمكن المبدع من لغته وعجزه عن تفجير أقصى طاقاتها الدلالية .
- ٢- انتهت الدراسة إلى بطلان القول بأن التقديم والتأخير من الضرائر التى ينبغى تنزيه القرآن الكريم عنها ؛ ذلك لأن التقديم والتأخير من سنن التعبير العربى الفصيح منذ الجاهلية ، وقد جاء القرآن الكريم مجارياً للعبارة العربية ، ومن ثم فإقصاء التقديم والتأخير منه - مهما كانت دوافعه نبيلة - ينال من سمو بلاغته ، ويتناقض لا مع ما تقطع بصحته الشواهد القرآنية فحسب ، بل مع شهادات علماء لا تقل غيرتهم الدينية عن غيرة أبى حيان ؛ مثل عكرمة " ت نحو ١٠٧ هـ" وقتادة " ت نحو ١١٧ هـ" ، وابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ" ، والطبرى " ت نحو ٣١٠ هـ" ، وعبد القاهر " ت نحو ٤٧١ هـ" ، والزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ" ، وابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ" ، وابن الصائغ " ت نحو ٨٧٦ هـ" ، والسيوطى " ت نحو ٩١١ هـ" ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم .
- ٣- أظهرت الدراسة تهافت رأى ابن قتيبة ، وابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ" حول صلة التقديم والتأخير بالمجاز ، ورجحت ما ذهب إليه الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ" من أن التقديم والتأخير نقل من الرتب ، وليس نقلاً مما وضع له اللفظ إلى ما لم يوضع له . وعززت رأى الزركشى بأن المجاز لا يكون مجازاً بغير علاقة وقرينة ، فى حين أن تقديم المؤخر وتأخير المقدم لا يحتاج إلى علاقة ، وأن القرينة إذا وجدت فى بعض شواهد فإن وظيفتها مغايرة تماماً لوظيفة القرينة فى التعبير المجازى .
- ٤- أثبتت بعض شواهد الدراسة خطأ ما ذهب إليه العلوى " ت نحو ٧٤٥ هـ" من أن المفعول به إذا تقدم لزم الاختصاص ؛ ولأن إفادة الاختصاص إن تكن غالبية على تقدم المفعول به فليست لازمة ، لأن المفعول به تقدم اهتماماً بالمقدم وتشويقاً للمتلقى (١) ، ومراعاة لحال المتكلم (٢) ، مع ما قد يترتب على تأخير عامله من اتساق بين فواصل بعض الآى .

١- انظر : ص ٢٤ من الدراسة .

٢- انظر : ص ٢٥ من الدراسة .

- ٥- ودلت بعض شواهد الدراسة على أن الجمل الخبرية يمكن أن تتماثل هيئاتها التركيبية ، وتتخالف نواتجها الدلالية ؛ فالمسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الاسمي فيفيد اختصاصا في سياق ، وتأكيذا في سياق آخر <sup>(١)</sup> . والمسند إليه المنفى يتقدم على مسنده الفعلي فيفيد اختصاصا في سياق ، وتقوية وتأكيذا في سياق آخر ، برغم تماثل الجملتين الخبريتين حروفاً وكلمات وبناء <sup>(٢)</sup> . وهذا يؤكد أن للسياق دورا بالغ الأهمية في ضبط النواتج الدلالية .
- ٦- تؤكد الدراسة أهمية عدم التعجل في النظر إلى الشاهد والحكم على ناتجه الدلالي ، وأهمية عدم الاكتفاء بترديد أحكام الأوائل دون التقليل من قيمة جهودهم ، وأنه ليس من الدقة في شيء أن يقلص المستهدف من التقديم والتأخير في ناتج دلالي واحد ، أو في ناتج دلالي واحد مع اتساق بين فواصل الأي ، وإنما يمكن بالنظر المتأنى أن نستخلص من الشاهد الواحد أكثر من ناتج دلالي ؛ ففي قوله تعالى : " والله يرزق من يشاء بغير حساب " <sup>(٣)</sup> نجد تعجيلا بالمسرة ، وتلذذا بذكر الله ، فضلا عن تقوية الحكم بإسناده مرتين : مرة إلى المسند إليه ، وأخرى إلى الضمير المستتر في الفعل " يرزق " . ونجد - أخيرا - اختصاص المسند إليه بالحكم .
- ٧- وتخلص الدراسة إلى أن هناك بعض النواتج المشتركة بين ركني الجملة الخبرية والمتعلقات ؛ فالاختصاص يحققه تقديم المسند إليه والمسند والمفعول به والجار ومجروره . والاحتراس من الخلل الدلالي يشترك في تحقيقه تقديم المسند والمفعول به والجار ومجروره ، ولا يحققه المسند إليه المقدم . وتعجيل المسرة ناتج يحققه تقديم المسند إليه والجار ومجروره . وتشويق المتلقى يشترك في تحقيقه تقديم المسند والمفعول به .
- ٨- وتثبت شواهد الدراسة أن فوائد التقديم والتأخير لا تنحصر في الاهتمام والاختصاص ومراعاة نظم الكلام ، كما يظن ضياء الدين بن الأثير ، بل تتجاوز الثلاث الفوائد الأنفة إلى رفع الالتباس الدلالي ، وتقوية الحكم وتأكيده ، وتشويق المتلقى ، ومراعاة أحوال المتكلمين والمخاطبين .
- ٩- وتكشف بعض شواهد الدراسة عن أن حضور المبدع والمتلقى ، بوصفهما طرفي الاتصال ، يتفاوت في درجته من آية إلى أخرى ؛ ففي قوله تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء " يستأثر المتلقى بالحضور الأقوى ، على أساس أنه لا الفقر يجوز على الله ، ولا الفحشاء ، غير أن قوة حضور المتلقى لا تلغى قصد المبدع إلى إخافة المتلقى من الشيطان . وفي قوله تعالى : " والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " يكون الحضور الأقوى للمبدع سبحانه وتعالى .

٣- انظر : ص ١٧ : ١٨ من الدراسة .

٤- انظر : ص ١٨ : ١٩ من الدراسة .

١- البقرة : آية ٢١٢ .

١٠ - كذلك تثبت شواهد الدراسة أن الناتج الدلالي هو الباعث الأول على التحريك الأفقى للدوال - داخل الجمل الخبرية - بالتقديم والتأخير ، وأن الاتساق بين فواصل الآى - مع أهميته فى ترسيخ المعنى ، وفى جعل التلقى مصحوبا باللذة - يغلب أن يكون ثمرة الناتج الدلالي المستهدف . وفى أحوال نادرة للغاية تكون رعاية الفاصلة هى الباعثة على تقديم المؤخر وتأخير المقدم .

ويبقى أن أشير إلى أن هذه الدراسة ليست سوى عمل بشرى فيه ما فى البشر من نقص ، أما الكمال فقد استأثر به الله . ويكفى أننى اجتهدت فإن أصبت فمن توفيق الله ، وإن كانت الأخرى فى أجر المجتهد . هذا وبالله التوفيق .

تمت الدراسة

## المراجع

- ١- ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :  
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط : نهضة مصر ، القاهرة د - ت .
- ٢- ابن الأثير " ت نحو ٦٣٧ هـ " :  
الجامع الكبير ، ط : المجمع العلمى العراقى ، بغداد .
- ٣- ابن العربى " ت نحو ٤٢٣ هـ " :  
أحكام القرآن ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ، د- ت .
- ٤- ابن المدبر " ت نحو ٢٧٩ هـ " :  
الرسالة العذراء " ضمن كتاب رسائل البلغاء لمحمد كرد على ، ط : الثالثة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٦ م .
- ٥- ابن النقيب " ت نحو ٦٩٨ هـ " :  
مقدمة تفسير ابن النقيب ، تحقيق : د. زكريا سعيد على ، ط : الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د - ت .
- ٦- ابن تيمية " ت نحو ٧٢٨ هـ " :  
مجموع الفتاوى ، تحقيق : عبد الرحيم بن قاسم وابنه محمد ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د - ت .
- ٧- ابن جنى " ت نحو ٣٩٢ هـ " :  
الخصائص ، ط : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، العدد ١٤٧ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- ٨- ابن سنان " ت نحو ٤٦٦ هـ " :  
سر الفصاحة ، ط: الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٩- ابن طباطبا " ت نحو ٣٢٢ هـ " :  
عيار الشعر ، تحقيق : د. محمد زغول سلام ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د - ت .
- ١٠- ابن فارس " ت نحو ٣٩٥ هـ " :

- الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق : مصطفى الشريمي ، ط: مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ م .
- ١١- ابن قتيبة " ت نحو ٢٧٦ هـ " :  
تأويل مشكل القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، ط : الثانية ، دار التراث ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٢- ابن كثير " ت نحو ٧٨٤ هـ " :  
تفسير القرآن العظيم ، ط : الأولى ، مكتبة النور العلمية ، بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
- ١٣- أبو حيان " ت نحو ٧٤٥ هـ " :  
البحر المحيط ، ط : مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، د - ت .
- ١٤- أبو هلال العسكري " ت نحو ٣٩٥ هـ " :  
الصناعتين : الكتابة والشعر ، تحقيق : د. مفيد قميحة ، ط : الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- ١٥- أحمد مصطفى المراغي :  
علوم البلاغة ، ط: دار القلم ، بيروت ، د - ت .
- ١٦- الألوسي " ت نحو ١٢٧٠ هـ " :  
روح المعاني ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٩ م .
- ١٧- الرازي " ت نحو ٦٠٦ هـ " :  
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق : د. بكرى شيخ أمين ، ط : الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ١٨- الزركشى " ت نحو ٧٩٤ هـ " :  
البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : الثانية ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د - ت .
- ١٩- الزمخشري " ت نحو ٥٣٨ هـ " :  
الكشاف ، ط : الثانية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ .
- ٢٠- السكاكي " ت نحو ٦٢٦ هـ " :  
مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور ، ط : الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- ٢١- السيرافي " ت نحو ٣٦٨ هـ " :

- ضرورة الشعر ، تحقيق : د. رمضان عبد التواب ، ط : الأولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ٢٢- **السيوطي " ت نحو ٩١١ هـ " :**
- الإتقان فى علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط: المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٣- **الشوكاني " ت نحو ١٢٥٠ هـ " :**
- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ، ط : الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢٤- **الطوفى " ت نحو ٧١٦ هـ " :**
- الأكسير فى علم التفسير ، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، ط : مكتبة الآداب ، القاهرة ، د - ت .
- ٢٥- **الطبيبي " ت نحو ٧٤٣ هـ " :**
- التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان ، تحقيق : د. هادى عطية مطر ، ط: الأولى ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٢٦- **العلوى : ت نحو ٧٤٥ هـ " :**
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوى ، ط : الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٢٧- **المرزبانى " ت نحو ٣٨٤ هـ " :**
- الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق : على محمد البجاوى ، ط : دار الفكر العربى ، القاهرة ، د - ت .
- ٢٨- **تمام حسان " الدكتور " :**
- البيان فى روائع غريب القرآن ، ط : الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٩- **توفيق الفيل " الدكتور " :**
- بلاغة التراكيب ، ط: مكتبة الآداب ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٠- **خيرة حمر العين " الدكتورة " :**
- شعرية الانزياح : دراسة فى جماليات العدول ، ط : الأولى ، مؤسسة حماد للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع ، إربد ، ٢٠٠١ م .
- ٣١- **درويش الجندى " الدكتور " :**
- علم المعانى ، ط : نهضة مصر ، القاهرة ، د - ت .

- ٣٢- عبد الحكيم راضى " الدكتور " :  
نظرية اللغة فى النقد العربى ، ط : الخانجى ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٣- عبد العظيم المطعنى " الدكتور " :  
التفسير البلاغى للاستفهام فى القرآن الحكيم ، ط : الأولى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ،  
١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٤- عبد القاهر الجرجانى " ت نحو ٤٧١ هـ " :  
دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود شاكر ، ط : المدنى ، القاهرة ، د - ت .
- ٣٥- على آيت أوشان :  
السياق والنص الشعري : من البنية إلى القراءة ، ط : الأولى ، مطبعة النجاح ،  
الدار البيضاء ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٣٦- محمد عبد المطلب " الدكتور " :  
البلاغة العربية قراءة أخرى ، ط : الأولى ، لونجمان ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- ٣٧- محمد عبد المطلب " الدكتور " :  
البلاغة والأسلوبية ، ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٣٨- محمد على الصابونى :  
صفوة التفاسير ، ط : الخامسة ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٣٩- محمد محمد أبو موسى " الدكتور " :  
دلالات التراكيب ، ط : الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- ٤٠- منير سلطان " الدكتور " :  
بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، ط : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د - ت .